عوضا وثمنا كافيا في دخول الجنة بل لا بد من عفو الله ورحمته وفضله فيعفو
يمحو السيئات ويرحمه ويأتي بالجزاء ويتفضل تفضلا عن البرهان وفي هذا الموضع
ضل طائفتان من الناس فريق آمنوا بالقدر وظنوا انه كاف في حصول المقصود
فاعرضوا عن الاسباب الشرعية والاعمال الصالحة وهولاء يؤول الامر بهم الى ان
يكفروا بكتب الله ورسله ودينه وفريق اخذوا يطلبون الجزاء من الله كما يطلبه
الاجير المستاجر متكلين على اعمالهم وقوتهم وعلمهم وكما يطلبه المماليك وهولاء
جهال ضلال فان الله لم يامر العباد بما امرهم به حاجة اليه ولا نهاهم عما نهاهم
عنه بخلا به ولكن امرهم بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم وهو سبحانه كما
قال يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني
فالملك والمالك اذا امر مملوكيه بامر امرهم لحاجته اليهم وهم فعلوه بقوتهم التي لم
يخلقها لهم فيطالبون بجزاء ذلك والله تعالى غني عن العالمين فان احسنوا فلا
نفسهم وان اساوا فلها لهم ما كسبوا وعليهم ما اكتسبوا من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء
فعليها وفي الحديث عن الله تعالى انه قال يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته
بينكم محرما فلا تظالموا الحديث وهو سبحانه مع غناه عن العالمين خلقهم وارسل
اليهم رسولا يبين لهم ما يسعدهم ويشقيهم ثم انه هدى عباده المومنين لما اختلفوا
فيه من الحق باذنه فمن عليهم بالايمان والعمل الصالح فخلقه بفضله وارسال الرسول
بفضله وهدايتهم بفضله وجميع ما ينالونه من الخير من قواهم وغير قواهم
بفضله فكذلك الثواب والجزاء هو بفضله وان كان اوجب ذلك على نفسه كما
حرم على نفسه الظلم ووعد بذلك فقال كتب ربكم على نفسه الرحمة وقال تعالى وكان
حقا علينا نصر المومنين فهو واقع لا محالة واجب بحكم ايجابه ووعده
لا لان الخلق يوجبون على الله شيئا ويحرمون عليه شيئا بل هم اعجز من ذلك
واقل من ذلك كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل كما في الحديث المتقدم انما هي اعمالكم احصيها
لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن
الا نفسه وفي الصحيح سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله الا انت
الى آخره من قالها اذا اصبح موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة قوله
ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي اعتراف بانعام الرب وذنب العبد
كما قال

بلغ

كما قال بعض السلف اني اصبح بين نعمة تنزل من الله علي وبين ذنب يصعد مني الى الله
فاريد ان احدث للنعمة شكرا وللذنب استغفارا فمن اعرض عن الامر والنهي
والوعد والوعيد ناظرا الى القدر فقد ضل ومن طلب القيام بالامر والنهي معرضا
عن القدر فقد ضل كما قال تعالى اياك نعبد واياك نستعين فنعبده اتباعا
للامر ونستعينه ايمانا بالقدر وفي الحديث الصحيح احرص على ما ينفعك واستعن
بالله ولا تعجز الحديث فامر النبي صلى الله عليه وسلم بشيئين ان يحرص على ما ينفعه
وهو امتثال الامر وهو العبادة وهي طاعة الرسول وان يستعين بالله وهو
يتضمن الايمان بالقدر انه لا حول ولا قوة الا بالله وانه ما شاء كان وما لم
يشا لم يكن فمن ظن انه مطيع لله بلا معونته كما يزعم القدرية والمجوسية فقد
جحد قدرة الله تعالى التامة ومشيئته النافذة وخلقه لكل شيء ومن ظن
انه اذا اعين على ما يريد ويسر له ذلك كان محمودا سواء وافق الامر الشرعي
او خالفه فقد جحد دين الله وكذب بكتبه ورسله ووعده ووعيده واستحق
من غضب الله وعقابه اعظم مما يستحقه الاول فان العبد قد يريد ما
يرضاه الله ويحبه وقد يريد ما يبغضه الله ويسخطه فكل من هذين قد يسر له
ذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له وقد قال تعالى من كان
يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها
الايات وقال تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي
اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا بين
سبحانه انه ليس كل من وسع عليه في الدنيا يكون قد اكرمه بل هو مبتلى عبده بالسراء
والضراء فالمومن يكون صبورا شكورا فيكون هذا وهذا خيرا له وليس
ذلك الا للمومن ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر
فكان خيرا له والمنافق هلوع جزوع كما قال تعالى ان الانسان خلق هلوعا
اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الى قوله في جنات مكرمون
ولما كان العبد ميسرا لما لا ينفعه بل يضره من معصية الله والفخر والطغيان
وقد يقصد عبادة الله وطاعته والعمل الصالح فلا يتاتى له ذلك امر في
كل صلاة بقوله اياك نعبد واياك نستعين وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه يقول الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي
ونصفها لعبدي الحديث وقال بعض السلف انزل الله عز وجل مائة

في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقضي الله للمومن قضاء الا كان خيرا له

منه علم